مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣١ ع ١، ص ص: ٢٥٩ – ٢٩٤ (٢٠٢٣م)

DOI:10.4197/Art.31-1.8

الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها لفظ (خيركم) و(خياركم) دراسة موضوعية

سلطانه سعود عبدالعزيز السلامة

أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض، المملكة العربية السعودية

المستخلص. تتناول هذه الدراسة تتناول هذه الدراسة الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها لفظ (خيركم) و(خياركم) دراسة موضوعية. وتكمن أهمية البحث في: جمع الأحاديث في هذا الباب وحصرها، ودراستها دراسة موضوعية لمعرفة صفات الخيرية، وبيان الخيرية وصفاتها وكيفية منالها. استخدم المنهج الاستقرائي، والتحليلي والاستنباطي كمنهج البحث، ومن أهم نتائج البحث، أن الأحاديث التي ورد فيها لفظ (خيركم) و (خياركم) وردت في حق أعمال صالحة، ورجال صالحين، وصفات حميدة وغيرها. ومن خلال دراسة الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها لفظ خيركم وخياركم، أوصي بدراسة مفردات الأحاديث النبوية ذات اللفظ الواحد أو المعنى الواحد وتناولها بدراسة موضوعية.

الكلمات المفتاحية: الأحاديث، الصحيحة، خيركم، خياركم، السنة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد. فالسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله– تعالى–، قال تعالى :﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ١١٣] والسنة، هي: الشارحة والمبينة للقرآن، وقد وكَّل الله– تبارك وتعالى –مهمة تفسير القرآن، وبيان تعاليم الإسلام، وتفصيل الأحكام إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فلولا السنة لم يعرف الناس عدد ركعات الصلاة، وصفاتها

وشروطها، وما يجب فيها، ولولا السنة لم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات، من زواج وطلاق وبيوع، ولم يعرفوا المحرمات، وما أوجب الله فيها من الحدود والعقوبات.

ولهذا أوجب الله طاعة رسوله، وقرنها بطاعته، قال سبحانه:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وجعلها من أسباب رحمته وهدايته، قال تعالى:﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

ولهذا يجب على كل مسلم: أنْ يتمسك بسنة النبي– صلى الله عليه وسلم–، وأنْ يعظمها حق التعظيم، وأنْ يؤمن ويصدق بما جاء فيها من أحكام وأخبار.

والسنة شاملة لكل خير وهدى، فما من خير إلا ودلنا عليه النبي– صلى الله عليه وسلم–، وما من شر إلا وحذرنا منه عليه الصلاة والسلام؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما – أنه قال : قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم :–"إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أنْ يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم" (١).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه «قال: قيل له: قد علَّمَكُمْ نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الْخِرَاءَةَ قال: فقال: أَجَلْ»(٢) "أي: ما ترك نبيكم شيئاً إلا علمكم إياه، حتى كيفية الاستنجاء، وطريقة الاستبراء، من النجاسة علمكم إياها، وهذا من كمال ديننا، ولم يكمل ديننا إلا بسنة نبينا، وهنا نجد أنَّ الإسلام يدعو إلى فعل الخير، واستباق الخيرات، وفعل الطاعات، والوصول دوماً إلى الخيرية والمثالية العليا:

قال تعالى: ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال: ﴿ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَلَن يُكۡفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وفي وصف بعض مؤمني أهل الكتاب قال عزَّ وجل: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول ٣/ ١٤٧٢، برقم:١٨٤٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة ١/ ٢٢٣، برقم: ٢٦٢.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [آل عمران: ١١٤]، وفي وصف أهل الخشية من ربهم قال عزَّ وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون، قال: "ألا أحدثكم بأمر إنْ أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله؟ تسبحون، وتحمدون، وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين"(٣).

إنَّ "الخير" كلمة من أحسن الكلمات، وصفة إنسانية من أجمل الصفات، وهي لفظ يحتوي على أقوال وأفعال وأحوال فيها منافع ولذات، وسعادة ومسرات، وأهل هذه الكلمة في المجتمع ينتفعون وينفعون، ويَسعدون ويُسعدون؛ فهم كالغيث حيثما وقع نفع، وكالنور الذي يبدد الظلمات، وينير بين الخلق الطرقات.

إنَّ المسلم مكلَّف بفعل الخير، وأنْ يكون مصدر خير للخلق، وموردَ إحسان للأحياء والحياة، حسب ما يحبه الله ويرضاه؛ وبذلك يظفر بنيل سعادة الدنيا والآخرة.

وأعمالُ الخير التي يصير بها المسلم من خيار عباد الله كثيرة، فمن جمعها فقد جمع الخير، ومن تحلى ببعضها فقد جمع من الخير بقدر ما تحلى به.

والمتتبع لسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يجد أنها قد زخرت بذكر خيار عباد الله بأعمال صالحة يعملونها؛ وبذلك نالوا هذا الوسام الكريم، ووصلوا بها إلى هذا الشرف العظيم.

وما ذكره خير البشرية –صلى الله عليه وسلم– من الأعمال الصالحة التي حاز بها بعض الناس قصب السبق؛ لإحراز الخيرية يتفرق في ميادين حياتية كثيرة، فقد ذكر رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم– خير الناس في ميدان المعاملة الإنسانية، وخير الناس في ميدان الحياة السلوكية والأخلاقية، وخير الناس في ميدان الحياة الاجتماعية، وخير الناس في ميدان الولاية والمسؤولية، وخير الناس في ميدان التعلم والتعليم، وخير الناس في ميدان المعاملة المالية، وخير الناس في ميدان الحياة الزوجية والأسرية، وغير ذلك من مجالات الخيرية في السنة النبوية الشريفة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتمَّ التسليم.

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، ١/ ١٦٨، برقم: ٨٤٣.

فخير الناس هم من يحدثون أثراً إيجابياً في مجتمعاتهم وأممهم فهم كالغيث أينما حل نفع.

ومن أجل ذلك وفقني الله سبحانه وتعالى لاختيار عنوان هذا البحث: (الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها لفظ (خيركم) و (خياركم) دراسة موضوعية).

أولاً: أهمية البحث

١- جمع الأحاديث في هذا الباب وحصرها.

٢- دراستها دراسة موضوعية لمعرفة صفات الخيرية.

٣- بيان الخيرية وصفاتها وكيفية منالها.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

توجد عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع أهمها ما يلي:

(١) أنَّ الحديث عن خير الناس وخيارهم شغل حيزاً واسعاً في السنة النبوية ونبَّه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، وغفل عنه كثير من الناس اليوم.

(٢) الحاجة إلى توضيح أصناف الناس في الخير ليكونوا قدوة لغيرهم.

(٣) إظهار محاسن الإسلام وأنه دين يدعو إلى الخير والمنفعة للإنسانية كلها.

ثالثاً: الدراسات السابقة

من خلال البحث والاطلاع عثرت الباحثة على بعض الأبحاث والمؤلفات التي تناولت الحديث عن خير الناس منها:

(١) الأحاديث التي ورد فيها لفظ "خيركم" في سنن الترمذي: جمع ودراسة، عبد الوهاب عامر عبود جابر الدوري، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، العدد٧، العراق، ٢٠١٩م.

وهذه الدراسة تتفق مع بحثي في جمع الأحاديث التي ورد فيها لفظ "خيركم"، ولكنها مختصة بسنن الترمذي، كما أن دراستي شملت لفظ: "خيركم" و "خياركم".

(٢) بحث بعنوان "الاستدلالات الأصولية بحديث (خير الناس قرني) جعفر عبد الرحمن قصاص، كلية الدراسات القضائية جامعة أم القرى – وهو بحث منشور في مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة العدد (٣٧) ٢٠٢١م.

أما الدراسة الثانية "الاستدلالات الأصولية بحديث (خير الناس قرني)" فكما هو واضح من العنوان (بحث في أصول الفقه والقواعد الأصولية المستنبطة في هذا الحديث في مجال الفقه) وهو بعيد عن موضوع هذا البحث.

رابعاً: تساؤلات البحث

توجد عدة تساؤلات وإشكالات حول هذا البحث منها:

ما معنى حديث الرسول "خير الناس أنفعهم للناس"؟

ومن هم خير الناس وأصنافهم؟ وما مفهوم لفظة الخير؟ وما فضل من أتصف بالخيرية من الناس. كل هذه الأسئلة وغيرها إنْ شاء الله سأحاول الإجابة عليها في ثنايا البحث.

خامساً: منهج البحث

ومنهجي في هذا البحث استقرائي تحليلي استنباطي على النحو التالي:

(١) محاولة استقراء مجموعة من الأحاديث من حيث دلالتها على موضوع البحث، واستنباط ما دلت عليه من فوائد وإرشادات تخص موضوع الحديث والمبحث الوارد فيه.

(٢) وقع الاختيار على مجموعة من الأحاديث المبدوءة بخيركم وخير الناس وخياركم وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنَّ من اتصف بتلك الصفات والأخلاق فإنه من خير الناس.

(٣) التخريج من كتب السنة المعتمدة فما كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفى بالعزو إليهما مع ذكر الكتاب والباب، إلا أنْ يكون في لفظ غيرهما زيادة فائدة لها ارتباط بالموضوع، وإن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما خرجته من بقية الكتب الستة المتيسرة لي – تخريجاً مناسباً يفي بالغرض.

ونهجت في تخريجها ببيان درجة الحديث مستندة إلى أقوال أهل العلم بالحديث، وطلباً للاختصار وعدم الإطالة في التخريج، ودراسة الأسانيد، ولم أذكر إلا الأحاديث المقبولة.

سادساً: خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وتساؤلات البحث، ومنهج البحث.

تمهيد: مفهوم الخير في اللغة والاصطلاح، وفضل من أتصف بالخيرية من الناس.

المبحث الأول: الأحاديث التي ورد فيها لفظ (خيركم)

وفيه مطالب:

المطلب الأول: خير الناس من تعلم القرآن وعلمه

المطلب الثاني: خيركم خيركم لأهله

المطلب الثالث: خيركم أحسنكم قضاء

المطلب الرابع: خيركم من أطعم الطعام

المطلب الخامس: خيركم من يرجى خيره

المطلب السادس: خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً

المطلب السابع: خيار الصحابة

المطلب الثامن: خيار أئمتكم الذين تحبونهم

المطب التاسع: خيار آخر الزمان

المبحث الثاني: الأحاديث التي ورد فيها لفظ (خياركم)

المطلب الأول: خياركم أحاسنكم أخلاقاً

المطلب الثاني: خياركم ألينكم مناكب في الصلاة

المطلب الثالث: خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى

المطلب الرابع: خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام

المطلب الخامس: أُولئك خيارَكم

المطلب السادس: خياركم الموفون المطيبون

المطلب السابع: خياركم من شراركم

المطلب الثامن: الصفات الخادشة للخيرية

الخاتمة وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

التمهيد

مفهوم الخير، وفضل من أتصف بالخيرية من الناس

مفهوم الخير في اللغة والاصطلاح

تعريف الخير:

لغة: هو اسم تفضيل على غير قياس وهو ضد الشر، والخير الحسن لذاته ولما يحققه من لذة أو نفع أو سعادة، وجمعه خيور، وخيار، وأخيار[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ [المزمل: ٢٠] أي تجدوه خيراً لكم من متاع الدنيا.

فالمقصود من مصطلح الخير هو اختيار الأفضل، ويأتي عادةً في وصف الأمور ذات النهاية السعيدة والمحببة أو المفضلة لدى الناس وبالنتيجة يبقى اختيار الخير أو الشر منوط بالفرد نفسه، فمعرفة الخير والشر مطلب جميع المخلوقات لكي تستمر في البقاء أي إنهُ موجود في الفطرة وذلك لدى جميع المخلوقات دون استثناء، فالمخلوقات التي تستمر بالبقاء تكون قد عرفت ما هو الخير بالنسبة لها فأخذت به، وما هو الشر بالنسبة لها فابتعدت عنه.

اصطلاحاً: الخير: ما يرغب فيه كل الناس من أصحاب الفطر السليمة، كالعقل والفضل والعدل والأشياء النافعة كالمال[٥].

---

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة: خير ٢٧٣/١.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي ٥٧٢/٢.

المبحث الأول: الأحاديث التي ورد فيها لفظ (خيركم)

المطلب الأول: خير الناس من تعلم القرآن وعلمه

عن عثمان –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال: "خيركم من تعلم القرآن، وعلمه"[٦].

إنَّ تعلم القرآن العظيم والقيام بتعليمه وبيان معانيه وأحكامه للناس من أفضل الأعمال وأجلِّ القرب، يحظى متعلِّمه ومعلِّمه بالخير والفضل في الدنيا والآخرة، وقد وردت أحاديث كثيرة تحض على تعلم القرآن وتعليمه؛ لأنه كلام الله تعالى، فكان خير الناس بعد الأنبياء مَنْ اشتغل به فقال: "خيركم من تعلم القرآن، وعلمه"[٧].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ"[٨].

وقد سُئلَ الثوري عن الجِهادِ وإقراءِ القرآن[٩]، فرجَّحَ الثاني واحْتَجَّ بهذا الحديث[١٠].

فهذه شهادةُ حَقٍّ لأهل القرآن بأنهم خيرُ النَّاس وأفضلُهم، فلم يقل خيركم أو أفضلكم أكثركم مالاً أو أولاداً، ولا أوسعكم عقاراً أو نحو ذلك من حطام الدنيا الزائل.

وهذه هي صفات المؤمنين الصادقين المُتَّبعين للرسول صلّى الله عليه وسلّم، فهم يحرصون على تعلم القرآن وتزكية نفوسهم به، كما يحرصون على تعليم الآخرين وإرشادهم لهديه والدعوة إليه فيكون نفعاً متعدياً. «ولا شكَّ أن الجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مكمِّل لنفسه ولغيره، جامع بين النَّفع القاصر والنفع

---

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٩١٩/٤ برقم:٤٧٣٩ عن عثمان بن عفان.

(٧) تقدّم آنفاً تخريجه.

(٨) أي تعليمه للناس

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩٧/٩.

(١٠) المصدر السابق ٩٦/٩.

المتعدي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة مَنْ عنى سبحانه وتعالى بقوله:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومعنى التَّعلُّم والتَّعليم: "تعلَّمُ القرآنِ وتعليمُهُ يتناولُ تعلُّمَ حروفه وتعليمَها، وتعلُّمَ معانيه وتعليمَها، وهو أشرَفُ قِسْمَيْ تعلُّمه وتعليمه؛ فإنَّ المعنى هو المقصودُ، واللفظُ وسيلةٌ إليه، فتعلُّمُ المعنى وتعليمُهُ الغايَةِ وتَعليمها، وتعلُّمُ اللفظ المُجَرَّدِ وتعلِيمُهُ تعلُّمُ الوسائلِ وتعليمُها، وبينهما كما بينَ الغاياتِ والوسائلِ"(١١).

وخير الناس وأفضلهم مَنْ تعلَّم القرآن حقَّ تعلُّمه، وعلَّمه حقَّ تعليمه، ولا يُتَمَكَّنُ من هذا إلاَّ بالإحاطة بالعلوم الشرعية أصولها وفروعها، ومِثْلُ هذا الإنسان يُعَدُّ كاملاً لنفسه مكمِّلاً لغيره فهو أفضل المؤمنين مطلقاً، وقد ورد عن عيسى عليه الصلاة والسلام: "من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ يُدعى في الملكوت عظيماً"(١٢) والفرد الأكمل من هذا الجنس هو النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم الأشبه فالأشبه(١٣).

قال القرطبي رحمه الله: "قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال؛ لأن فيه إعانةً على الدِّين، فهو كتلقين الكافر الشَّهادةَ لِيُسْلِمَ"(١٤). وبعض أهل العلم حَمَلَ الحديثين بخير الناس وأفضلهم باعتبار التَّعلم والتَّعليم: قال الطِّيبي: "أي: خير الناس باعتبار التعلم والتعليم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه"(١٥).

وهنا مسألتان: أَوْرَدَهُما الحافظ ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: (المسألة الأولى): "فإن قيل: فيلزم على هذا أن يكون المُقرئ أفضلَ من الفقيه. قلنا: لا؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاءَ النفوس؛ لأنهم كانوا أهل اللِّسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسَّليقة أكثر مما يدريها مَنْ بعدهم بالاكتساب، فكان الفقهُ لهم سجية، فَمَنْ كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك، لا مَنْ كان قارئاً أو مُقرئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يَقرؤه أو يُقرئه"(١٦).

---

(١١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ٩٦.

(١٢) روي مرفوعاً من حديث ابن عمر. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١/ ٦٦.

(١٣) التذكار في أفضل الأذكار ص١٤٤.

(١٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤/ ٢٢٩.

(١٥) مفتاح دار السعادة ١/ ٧٤.

(١٦) المصدر السابق.

(المسألة الثانية): "فإن قيل: فليزم أن يكون المقرئ أفضلَ ممن هو أعظم غناءً في الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً. قلنا: حرفُ المسألة يدور على النفع المتعدي، فَمَنْ كان حصوله عنده أكثر كان أفضل، فلعل «مِنْ» مَضمرة في الخبر، ولا بد مع ذلك مِنْ مراعاة الإخلاص في كل صنف منهم. ويحتمل أنْ تكون الخيرية وإنْ أُطلقت لكنها مقيَّدة بناس مخصوصين خَوطبوا بذلك كان اللائق بحالهم ذلك، أو المراد خير المتعلّمين مَنْ يُعلّم غيرَه لا مَنْ يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية؛ لأن القرآن خير الكلام فمتعلِّمه خَيرٌ مِنْ مُتعلّمِ غيرِهِ بالنسبة إلى خَيريَّة القرآن، وَكَيْفَما كان فهو مخصوص بِمَنْ عَلَّم وتَعلَّم بحيث يكون قد عَلِمَ ما يجبُ عليه عَيْناً"[١٧].

وقد أدرك السَّلف الصَّالح هذه الخيرية والأفضلية التي يتميز بها معلِّم القرآن ومتعلِّمه، فحرصوا على بلوغها: فعن سَعْدِ بنِ عُبَيْدَةَ قال: وَأَقْرَأَ أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كانَ الحَجَّاجُ، قالَ أبو عَبْدِ الرحمنِ السُّلَمِي: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدي هَذَا[١٨].

ويتبيَّن من الأثر أنَّ (أبا عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلَمي)، عَلَّمَ الناسَ القرآنَ في مسجد الكوفة أربعين سنة، فقد بدأ يعلم القرآن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أيام الحجَّاج، وهو الذي روى عن عثمان حديث: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ".

ومعنى قول أبي عبد الرحمن السُّلَمي: "وذَاكَ الذي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هذا»؛ «أي: أَنَّ الحديثَ الذي حَدَّث به عثمانُ في أفضلية مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمه حمل أبا عبد الرحمن أَنْ قَعَدَ يُعلِّمُ الناسَ القرآنَ لتحصيل تلك الفضيلة"[١٩]. ومن أجل ذلك أثنى عليه الحافظ ابن كثير رحمه الله ودعا له بالخير فقال: «رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طَلَبَه ورامَهُ، آمين"[٢٠].

وَمِثْلُه أيضاً: (الإمام المُقرئ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم المدني) أحد القراء السَّبعة، فقد أقرأَ الناسَ دهراً طويلاً يزيد عن سبعين سنة؛ لأنه ممن طال عمره[٢١].

---

(١٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩٧/٩

(١٨) فضائل القرآن ص٢٠٧.

(١٩) معرفة القراء الكبار ص٦٤

(٢٠) سير اعلام النبلاء ٢٢٢/١٩

(٢١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ١/ ٦٤٨

وكذلك: (الإمام أبو منصور الخَيَّاط البغدادي) تخرَّج على يديه عدد كبير من قُرَّاء القرآن، وقد وصفه الإمام الذهبي رحمه الله بقوله: "جلس لتعليم كتاب الله دهراً، وتلا عليه أمم"(٢٢).

وقد لَقَّنَ العميانَ دهراً لله، وكان يُنفق عليهم، حتى بلغ عدد مَنْ أقرأهم مِنَ العميان سبعين نَفْساً. قال الإمام الذهبي: "ومَنْ لَقَّنَ القرآنَ لسبعين ضريراً، فقد عمل خيراً كثيراً"(٢٣).

قال السَّمعاني: " رُؤِيَ بعدَ مَوتِه: فقال: غَفَرَ اللهُ لي بتعليمي الصِّبيانَ الفاتحة"(٢٤).

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- في الحديث تنبيه العالم إلى نفع غيره بما علمه.

٢- وفيه أيضاً دلالة على أنَّ القرآن خير الكلام فتعلمه، وتعليمه خير من تعلم غيره من العلوم.

٣- بيان ما كان عليه سلف هذه الأمة من إتباع سنة الرسول-صلى الله عليه وسلم -والعمل بالعلم.

فإن قال قائل: أيهما أفضل: تعلم القرآن أو تعلم الفقه؟

فالجواب: أنَّ تعلم اللازم منهما فرض على الأعيان، وتعلم جميعهما فرض على الكفاية، فإذا قام به قوم سقط الفرض عن الباقين، فقد استويا في الفريضة في الحالتين، فإذا فرضنا الكلام في الزيادة منهما على القدر الواجب في حق الأعيان، فالتشاغل بالفقه أفضل، وذلك راجع إلى حاجة الإنسان، لا أنَّ الفقه أفضل القراءة، وإنما كان الأقرأ في زمن رسول الله هو الأفقه، فلذلك قدم القارئ في الصلاة"(٢٥).

ويشير الحديث الشريف إلى خيرية تعلم القرآن، وتعليمه، فمن تعلم القرآن، وعلمه لغيره أفضل من الذي يتعلم القرآن، ولا يعلمه غيره، فأشرف العمل تعليم الغير، فالحديث صريح في فضل من جمع بين تعلم القرآن وتعليمه لغيره.

---

(٢٢) سير اعلام النبلاء ٢٢٢/١٩.

(٢٣) المصدر السابق ٢٢٣/١٩

(٢٤) المصدر السابق ٢٢٤/١٩

(٢٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين ١ /١٧٠.

قال ابن كثير" :وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، الذين جمعوا بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الذين لا ينفعون، ولا يتركون أحداً أن ينتفع " [٢٦].

وقال ابن حجر: "ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر، والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع "[٢٧].

وفي رواية :خيركم من تعلم القرآن أو علمه [٢٨].

فيكون معنى (أو) للتنويع لا للشك، وهذه الرواية "تقتضي إثبات الخيرية المذكورة لمن فعل أحد الأمرين فيلزم أنَّ من تعلم القرآن ولو لم يعلمه غيره أنْ يكون خيراً ممن عمل بما فيه مثلاً وإنْ لم يتعلمه"[٢٩].

المطلب الثاني: خيركم خيركم لأهله

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فَدَعُوهُ "[٣٠].

---

(٢٦) فضائل القرآن ٢٠٦/١.

(٢٧) فتح الباري ٧٦/٩.

(٢٨) أخرجه أحمد في مسنده مسند عثمان بن عفان ٥٨/١، ح٤١٣، وإسناده صحيح.

(٢٩) فتح الباري لابن حجر ٩/ ٧٦

(٣٠) أخرجه الترمذي في جامعه المعروف بسنن الترمذي، كتاب: كتاب المناقب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم، باب: فضل أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –٧٠٩/٥، ح٣٨٩٥، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري ما أقل من أخرجه عن الثوري وروي هذا عن هشام بن غزوة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل، قال أبو حاتم –: قوله – صلى الله عليه وسلم": – فدعوة " يعني لا تذكروة إلا بخير. والدارمي في سننه، كتاب: النكاح، باب: في حسن معاشرة النساء ٢١٢/٢، ح٢٢٦٠ والحديث صحيح، وابن حبان في صحيحه ابن حبان، باب: معاشرة الزوجين ذكر استحباب الاقتداء بالمصطفى –صلى الله عليه وسلم – للمرء في الإحسان إلى عياله إذ كان خيرهم خيرهم لهن٤٨٤/٩، ح٤١٧٧

يشير الحديث الشريف إلى أنَّ أعلى الناس رتبة في الخير، وأحقهم بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحق بالبشر، وحسن الخلق، والإحسان وجلب النفع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإن كان على العكس من ذلك؛ فهو في الجانب الآخر من الشر.

وكثيراً ما يقع الناس في هذا الأمر، فترى الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس، وأشحهم نفساً، وأقلهم خيراً فلا لين جانب، ولا بشر، ولا ملاطفة، ولا حسن معاملة.

وإذا لقي غير الأهل من الأصحاب لانت عريكته، وانبسطت أخلاقه وكثر خيره.

فقد دعا الرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذه الأحاديث إلى إرساء قواعد الاجلال للأهل على وجه العموم، وللمرأة على وجه الخصوص. ولا شك أنَّ من كان حاله غير هذه الحال فهو محروم التوفيق، وبعيد عن سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم، وزائغ عن سواء الطريق نسأل الله السلامة[٣١].

بيان ما يؤخذ من الحديث:

١- في الحديث دلالة على حسن المعاشرة مع الأهل، والأولاد، والعطف عليهم.

٢- احتمال الأذى منهن، والصبر على سوء أخلاقهن، وضعف عقولهن.

٣- ينبغي للزوج إكرام الزوجة بما يناسب من موجبات المحبة، والألفة كإكرام مثواها.

المطلب الثالث: خيركم أحسنكم قضاء

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ رجلا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – يتقاضاه، فأغلظ فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "دعوة، فإن لصاحب الحق مقالا"، ثم قال: "أعطوه سناً مثل سنه"، قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلا أمثل من سنه، فقال: "أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء"[٣٢].

---

(٣١) الشوكاني، نيل الأوطار ٢٤٦/٦ بتصرف

(٣٢) أخرجه الشيخان البخاري في صحيحه، كتاب: الوكالة، باب: الوكالة في قضاء الديون ٨٠٩/٢، ح٢١٨٣، واللفظ له ومسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: من استسلف شيئا فقضى خيرا منه وخيركم أحسنكم قضاء ١٢٢٥/٣، ح١٦٠١.

وفي رواية عن أبي رافع – رضي الله عنه – ... أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إنَّ خيار الناس أحسنهم قضاء" [٣٣].

وفي رواية عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: ... قال رسول الله –:صلى الله عليه وسلم – خيركم خيركم قضاء"[٣٤]

يشير الحديث الشريف إلى الخيرية في صفة القضاء، وفي معاملة المستقضي الذي يطلب حقه فينبغي للإنسان أنْ يقتدي برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حسن القضاء، فإن هذا من غاية حلمه، وحسن خلقه – صلى الله عليه وسلم – بقوله، فإن لصاحب الحق مقالاً، وهو صولة الطلب، وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع.

كما أن الحديث فيه دلالة على جواز أنْ يرد المقترض نظير ما اقترضه، أو خيراً منه. بل يستحب لمن عليه دين من قرض، وغيره، أنْ يرد أجود من الذي عليه، وهذا من السنة ومكارم الأخلاق [٣٥].

وقال ابن حجر: "يستحب كذلك الزيادة في الأداء عما عليه"[٣٦].

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- جواز المطالبة بالدين إذا حل الأجل.

٢ – حسن خلق الرسول– صلى الله عليه وسلم– وعظم حلمه وتواضعه وإنصافه.

---

(٣٣) أخرجه مسلم في صحيح، كتاب: المساقاة، باب: من استسلف شيئا فقضى خيرا منه وخيركم أحسنكم قضاء٣/١٢٢٤، ح١٦٠٠عن أبي رافع أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – استسلف من رجل بكرا فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكرة فرجع إليه أبو رافع فقال لم أجد فيها إلا خيارا رباعيا فقال: «أعطه إياه إن خيار الناس أحسنهم قضاء

(٣٤) أخرجه النسائي في سننه الصغرى المجتبى، كتاب: البيوع استسلاف الحيوان واستقراضه ٢٩١/٧، ح٤٦١٩ بسند عن العرباض بن سارية قال: بغت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بكرا، فأتيته أتقاضاه، فقال: أجل لا أقضيكها الا نجيبة فقضائي فأحسن قضائي، وجاءه أعرابي يتقاضاه سنه فقال رسول الله: – صلى الله عليه وسلم – أعطوه سنا فأعطوه يومئذ جملا فقال: هذا خير من سني فقال: خيركم خيركم قضاء»، والحديث حسن فيه إسحاق بن إبراهيم صدوق وبقية رجاله ثقات.

(٣٥) النووي، شرح صحيح مسلم ٢١٥/١٠.

(٣٦) فتح الباري ٥٧/٥.

٣- أنَّ من عليه دين عليه أنْ يحذر من مجافاة صاحب الحق.

٤- في الحديث جواز توكيل الحاضر الصحيح البدن، فإن النبي – صلى الله عليه سلم- أمر أصحابه أنْ يعطوا عنه السن التي عليه، وذلك توكيل منه لهم[٣٧].

المطلب الرابع: خيركم من أطعم الطعام

عن صهيب – رضي الله عنه – ...، وفي الحديث قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –يقول: "إنَّ خيركم من أطعم الطعام، ورد السلام"[٣٨].

وفي رواية: "خيركم من أطعم الطعام، أو الذين يطعمون الطعام"[٣٩].

فإطعام الطعام من الصفات الكريمة التي أمر الله بها، وحث رسوله صلى الله عليه وسلم عليها، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨ – ٩]، وأول ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام هو إطعام الطعام، يقول عبد الله بن سلام: "لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، انجفل[٤٠] الناس قِبله، وقيل: قد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله ثلاثاً، فجئت في الناس، لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به، أنْ قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل، والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"[٤١].

---

(٣٧) أضواء البيان٣/٢٢٨.

(٣٨) أخرجه أحمد في مسنده حديث صهيب–رضي الله عنه–٦/١٦،، ح ٢٣٩٧١، والحاكم في المستدرك، كتاب: الأدب٤/٣١٠، ح٧٧٣٩، وقال: هذا حديث صحيح الإستاد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص وابن أبي شيبة في مسنده حديث صهيب–رضي الله عنه–١/٣٢٦، ح٤٨٣.

(٣٩) أخرجه أحمد في مسنده، أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث صهيب ٣٩/ ٣٥٠، ح: ٢٣٩٢٩، والمقدسي في الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ٨/ ٧٥، ح: ٧٤ وقال: "إِسْنَاده حسن".

(٤٠) أي ذهبوا مسرعين نحوه، لسان العرب ١١/١١٤.

(٤١) أخرجه أحمد في مسنده، أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث عبد الله بن سلام،٣٩/٢٠١، ح: ٢٣٧٨٤، وابن ماجة في سننه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، ٢/١٠٨٣، ح: ٣٢٥١، وقال ابن الملقن بعد

وفي الحديث الشريف إشارة إلى أهمية إطعام الطعام، وإفشاء السلام.

قال الخطابي: " دلَّ صرف الجواب عن جملة خصال الإسلام، وأعماله أي ما يجب من حقوق الآدميين فجعل خير أفعالها في المثوبة إطعام الطعام الذي به قوام الأبدان، وخير أقوالها رد السلام الذي به تحصل الألفة بين أهل الإسلام "(٤٢).

وإطعام الطعام يكون للأصحاب، والجيران، والفقراء، والمساكين لأن فيه قوام الأبدان، وحياة كل حيوان، ورد السلام على من سلم عليه، ورده واجب وأما الإطعام فإن كان لمضطر فواجب وإلا فمندوب، وهذا قاله لمن قال له: أي الإسلام خير، وخص الرسول – صلى الله عليه وسلم – هاتان الخصلتان بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف. ويدل على ذلك أنه – صلى الله عليه وسلم – حث عليهما أول ما دخل المدينة (٤٣).

قال النووي: " وإنما وقع الحاجة إلى إفشاء السلام، وإطعام الطعام أكثر وأهم، لما حصل من إهمالهما والتساهل في أمورهما، ونحو ذلك "(٤٤).

ولا يخص بالسلام على من يعرف كما يفعله كثير من الناس اليوم، قال النووي: "في التسليم على من لم يعرف: إخلاص العمل الله تعالى، استعمال التواضع، وإفشاء السلام الذي شعار هذه الأمة" (٤٥).

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- اشتمل الحديث على نوعي المكارم لأنها إما مالية، والإطعام إشارة إليها، وإما بدنية، والسلام إشارة إليها.

٢- في الحديث الحث على الجود، والسخاء.

٣- وجوب التكافل الاجتماعي بين الأمة الإسلامية لنيل الخيرية

ذكر تصحيح أئمة الحديث لهذا الحديث "والأحاديث في الباب كثيرة لا يسعنا أن نذكرها هنا لكثرتها وانتشارها وهذا العدد كاف" البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير ٤٣/٩.

(٤٢) فيض القدير.٤٩٦/٣

(٤٣) فتح الباري ٥٦/١.

(٤٤) شرح صحيح مسلم ٢٠٧/١

(٤٥) المرجع السابق ٢٠٨/١

٤- لابدَّ في السلام أنْ يكون بلفظ مسمع لمن يرد عليه قال النووي: " أقله أنْ يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتياً بالسنة" [٤٦].

المطلب الخامس: خيركم من يرجى خيره

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «وقف على أناس جلوس فقال: ألا أخبركم بخيركم من شركم قال: فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات فقال: رجل بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا قال-: خيركم من يرجي خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره"[٤٧].

يشير الحديث إلى أفضل القوم من انتظر منه الناس الخير، وكف عنهم الشر، وكذلك من أمن الناس شره فخير الناس من يؤمل الناس الخير من جهته، ويأمنون من الشر من جهته، وشر الناس من لا يؤمل الناس الخير منه، ولا يأمنون شره، وإنما يرجى خير من عرف بفعل الخير، وشهرته به فمن غلب خيره شره أمنت القلوب من شره، ومتى قوي الإيمان في قلب عبد رجى خيره وأمن شره، ومتى ضعف قلّ خيره، وغلب شره.

قال الطيبي: " لما توهموا معنى التمييز، وتخوفوا من الفضيحة سكتوا حتى كرر ثلاثاً ثم أبرز البيان في معرض العموم لئلا يفضحوا فقال خيركم والتقسيم العقلي يقتضي أربعة أقسام ذكر منها اثنين ترغيباً، وترهيباً وترك قسمين لأنه ليس فيهما ترغيب وترهيب "[٤٨].

قال الماوردي: يشير بهذا الحديث إلى أن عدل الإنسان مع أكفائه واجب، وذلك يكون بثلاثة أشياء ترك الاستطالة ومجانبة الإذلال وكف الأذى لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإذلال أعطف، وكف الأذى أنصف، وهذه أمور إنْ لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء ففسدوا وأفسدوا[٤٩].

---

(٤٦) سبل السلام ٦٩٣/٢.

(٤٧) أخرجه الترمذي في جامعه سنن الترمذي، كتاب: الفتن ٥٢٨/٤، ح٢٢٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه فصل من البر والإحسان ذكر البيان بأن من خير الناس من رجي خيرة، وأمن شره ٢/٢٨٦، ح٥٢٧، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه: إسناده صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في شعب الإيمان فصل في إنظار المعسر والتجاوز عنه والرفق بالموسر والوضع١١٢٦٨/٧،٥٣٩.

(٤٨) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٦/ ٤٤٥.

(٤٩) فيض القدير ١٠٢/٣

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- في الحديث إشارة إلى أفضل القوم من انتظر منه الناس الخير وأمن الناس شره.

٢ - يشير بهذا الحديث إلى أنَّ عدل الإنسان مع أكفائه واجب.

٣- الذي يشارك في بناء المجتمع بناء قائماً على الخير، والفضيلة هو من الأخيار..

٤- المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الخير قط، إنْ أجدب منه جانب من الخير أخصب منه جانب، فلا يزال خيره مأمولاً، وشره مأموناً.

المطلب السادس: خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بخيركم؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً" [٥٠].

هذا الحديث فيه ميزةٌ لمن أمدَّ الله في عمره بعمل صالح مداوم عليه، لأنه بطول عمره تزداد أعماله الصالحة، ويتابع في الاستمرار في عمل الخير، ويغتنم وقته في طاعة الله[٥١].

إنَّ الأوقات والساعات هي رأس المال للتاجر مع الله، فمن اغتنمها ربح، سواء كان طال عمره أم قصر، لأن العبرة بالاغتنام للوقت، فمن اغتنمها فاز وأفلح، ومن أضاع رأس ماله خسر خسراناً مبيناً[٥٢].

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- خيرية من طال عمره وحسن عمله.

٢- أهمية اغتنام الأوقات في طاعة الله فهي رأسٍ المال والسعادة الأبدية.

---

(٥٠) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ١٢/ ١٤٦، ح: ٧٢١٢، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجنائز، باب طوبى لمن طال عمره وحسن عمله، ٣/ ٥١٩، ح: ٦٥٢٧، وقال البزار: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة بإسناد أحسن من هذا الإسناد بهذا اللفظ". مسند البزار = البحر الزخار ١٥/ ١٨٤.

(٥١) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير ٥/ ٥٣٩.

(٥٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٣٠٦.

المطلب السابع: خيرية الصحابة رضي الله عنهم وخيارهم

عن عبد الله بن الزبير أنَّ عمر بن الخطاب قام خطيباً فقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا مقامي فيكم فقال: "أكرموا أصحابي فإنهم خياركم"(٥٣).

إنَّ خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم هم أصحابه عليه الصلاة والسلام، فهم من صحبوه وناصروه، ووقفوا معه في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وشاركوه صلى الله عليه وسلم في نصرة الدين وفتح البلدان، فأوصى صلى الله عليه وسلم بإكرامهم والإحسان إليهم، وهم أهلٌ لذلك وأحق به، لا سيما وأنَّ الله قد أثنى عليهم وأخبر بأنه رضي عنهم ورضوا عنه.

خيرية الخلفاء الراشدين

عن عبد خير قال: دخلت مسجد الكوفة فإذا علي على المنبر يخطب الناس، فكان في خطبته أنْ قال: يا أيها الناس ألا إنَّ خيركم بعد نبيكم أبو بكر، وخيركم بعد أبي بكر عمر، ولو شئت أنْ أسمي الثالث لسميته، فقال: فريق من الناس إنما يعني نفسه"(٥٤).

وقد اختلف أهل العلم في من يعني بالثالث عندما سكت، هل يقصد نفسه أم يقصد عثمان رضي الله عنه، وسواء كان هذا أو هذا فكلاهما من المبشرين بالجنة، والموصوفين بالخيرية(٥٥).

خيرية سعد بن معاذ رضي الله عنه

وقد تعددت فضائله وكثرت محاسنه وصفاته، ومن ذلك شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بالخيرية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه فجاء على حمار، فلما بلغ قريباً من المسجد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى خيركم، أو سيدكم فقال: يا

---

(٥٣) أخرجه معمر بن راشد في جامعه، باب لزوم الجماعة ١١/ ٣٤١، ح: ٢٠٧١٠، وعبد بن حميد في منتخبه، المقدمات، مسند عمر بن الخطاب، رضي الله عنه،١/ ٧٥، ح: ٢٣، "وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن الحسن الخثعمي فإنه لم يخرج له الشيخان وهو ثقة ثبت"، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/ ٣٨٧٩.

(٥٤) أخرجه البزار في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، ومما روى عبد خير عن علي ٣/ ٤٤، ح: ٧٩٦، و "هذا الحديث سنده صحيح". الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٢/ ١٨١.

(٥٥) ينظر: مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجة ٣/ ١١٧.

سعد إن هؤلاء نزلوا على حكمك" قال: فإني أحكم فيهم أنْ تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، قال: حكمت بحكم الله، أو: بحكم الملك"(٥٦).

خيرية الزبير بن العوام رضي الله عنه:

أحد خيار الصحابة وفضلائهم، وأحد المبشرين بالجنة، والمشهود له بوصف الخيرية، فعن مروان بن الحكم قال: كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ، أَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: اسْتَخْلِفْ، قَالَ: وَقِيلَ ذَاكَ؟ قَالَ: نَعَمِ، الزُّبَيْرُ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيْرُكُمْ، ثَلَاثًا "(٥٧).

بيان ما يؤخذ من الأحاديث:

١- أفضلية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخيريتهم.

٢- وجوب احترامهم وتوقيرهم والإحسان إليهم.

٣- ذم من يذمهم أو يتنقصهم.

٤- ثبوت الخيرية لهؤلاء الصحابة بأسمائهم.

المطلب الثامن: خيار أئمتكم الذين تحبونهم

عن عوف بن مالك الأشجعي – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة"(٥٨).

---

(٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه ٥/ ٣٥، ح: ٣٨٠٤.

(٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب الزبير بن العوام، ٥/ ٢١، ح: ٣٧١٨.

(٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم٣/١٤٨١، ح ١٨٥٥، وأحمد بن حنبل في مسنده حديث عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري ٦/٢٤، ح٢٤٠٢٧.

في هذا الحديث الشريف إشارة إلى أنَّ خيار الأئمة هم الذين عدلوا في الحكم فتنعقد بينكم وبينهم مودة، ومحبة وأنَّ من كان من الأئمة محباً للرعية ومحبوباً لديهم وداعياً لهم ومدعواً له منهم فهو من خيار الأئمة.

قال الشوكاني: " ومن كان باغضاً لرعيته مبغوضاً عندهم يسبهم ويسبونه فهو من شرارهم، وذلك لأنه إذا عدل فيهم وأحسن القول لهم أطاعوه وانقادوا له وأثنوا عليه، فلما كان هو الذي يتسبب بالعدل وحسن القول إلى المحبة والطاعة والثناء منهم كان من خيار الأئمة، ولما كان هو الذي يتسبب أيضاً بالجور والشتم للرعية إلى معصيتهم له وسوء القالة منهم فيه كان من شرار الأئمة " [٥٩].

قال النووي: " يجب طاعة ولاة الأمور من غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية"[٦٠].

وقال ابن حجر: " وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمور، وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية كما تقدم في أوائل الفتن، والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد"[٦١].

قال المناوي نقلاً عن الماوردي: "هذا صحيح فإن الإمام إذا كان ذا خير أحبهم وأحبوه وإذا كان ذا شر أبغضهم وأبغضوه، وأصل ذلك أنَّ خشية الله تبعث على طاعته في خلقه وطاعته فيهم تبعثهم على محبته فلذلك كانت محبته دليلاً على خيره، وبغضهم له دليلاً على شره وقلة مراقبته[٦٢].

فمن زعم بأنه يجوز الخروج على الحاكم المسلم الجائر فليعطينا الدليل على ذلك من سنة النبي – صلى الله عليه وسلم.

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- في الحديث دليل على مشروعية محبة الأئمة، والدعاء لهم.

٢- فيه دليل على أنها لا تجوز المنابذة إلا عند ظهور الكفر البواح.

٣- احتج بهذا الحديث على عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم.

---

(٥٩) نيل الأوطار للشوكاني ٣٥٩/٧.

(٦٠) رياض الصالحين ١١٤/١

(٦١) فيض القدير ٤٦٣/٣.

(٦٢) فتح الباري ١١٢/١٣.

المطب التاسع: خيار آخر الزمان

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، فقال رجل من القوم: أيأتي علينا زمان نرى المنكر فيه فلا نغيره؟ فلا والله لنفعلن، قال: فجعل حذيفة يقول بإصبعه في عينه: كذبت والله – ثلاثاً –، قال الرجل: فكذبت وصدق"(٦٣).

هذه صورة غريبة وردت فيها الخيرية بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الصورة تكون في الغالب في أيام شدة الفتن واختلاط الأمور، وتداخل المعروف والمنكر، فيترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عوارض أخرى، فيكون الأفضل في هذه الحالة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٦٤).

المبحث الثاني: الأحاديث التي ورد فيها لفظ (خياركم)

المطلب الأول: خياركم أحاسنكم أخلاقاً

عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه – قال: لم يكن النبي –صلى الله عليه وسلم – فاحشاً، ولا متفحشاً وكان يقول: "إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً"(٦٥).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت أبا القاسم –صلى الله عليه وسلم –يقول :"خيركم إسلاماً أحسنكم أخلاقاً إذا فقهوا"(٦٦).

---

(٦٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفتن، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها، ٧/ ٤٧٥، ح: ٣٧٣٤٩، "وهذا إسناد صحيح". جزء حديثي في أحاديث حذيفة في الفتن ص: ٧٠.

(٦٤) ينظر: قد توجد حالات يكون السكوت عن المنكر هو الحق المبين وذلك إذا ترتب عليه منكر أعظم، أسامة العتيبي، مقال https://m-noor.com/showthread.php?p=٤٠٦٨٨

(٦٥) أخرجه الشيخان البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي –صلى الله عليه وسلم ١٣٠٥/٣،ح٣٣٦٦، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه – صلى الله عليه وسلم– ١٨١٠/٤،ح ٢٣٢١

(٦٦) أخرجه أحمد في مسنده مسند أبي هريرة رضي الله عنه ٤٦٩/٢، ح ١٠٠٦٨.- والبخاري في الأدب المفرد، باب: حسن الخلق إذا فقهوا١٠٧/١،ح٢٨٥وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٥٣٤/١ أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة بإسناد حسن

وفي رواية ثالثة عن أسامة بن شريك قال: أتيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه عنده ... وفي الحديث قالوا: ما خير ما أعطي الناس يا رسول الله قال: "خلق حسن" (٦٧).

في الحديث الشريف إشارة خيرية المتمسكين بمحاسن الأخلاق، وأنَّ حسن الخلق هو مقابلة الناس بالخير والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والعلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر، والاستطالة عليهم، ومجالية الغلظة، والغضب وتنقسم إلى محمود، ومذموم فالمحمود صفة الأنبياء، والأولياء كالصبر، والعلم عند الجلاء، وتحمل الأذى، والإحسان، والتودد للناس .... وغير ذلك والمذموم نقيضه(٦٨).

وحسن الخلق من صفات النبيين والمرسلين، وهو أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن ففي الحديث عن أبي الدرداء – رضي الله عنه– أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإنَّ الله ليبغض الفاحش البذيء" (٦٩)..

ولا يظن أنَّ حسن الخلق عبارة عن لين الجانب، وترك الفواحش، والمعاصي فقط، بل يشمل جميع ما ذكر من صفات المؤمنين، والتحلي بأخلاقهم.

بيان ما يؤخذ من الحديث:

١–في الحديث ما كان عليه –صلى الله عليه وسلم– من ترفع عن الدنيا وتمسك بالأخلاق العالية

٢–تربية أصحابه وتوجيه أمته إلى معالي الأمور.

٣–فضيلة حسن الخلق وبيان منزلة أصحابه.

المطلب الثاني: خياركم ألينكم مناكب في الصلاة

عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: خياركم ألينكم مناكب في الصلاة (٧٠).

---

(٦٧) أخرجه أحمد في مسنده حديث أسامة بن شريك ٢٧٨/٤، ح١٨٤٧٧، وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١٥٣١١ أخرجه أحمد عن أسامة ابن شريك بإسناد قوي.

(٦٨) فيض القدير ٤٦٤/٣.

(٦٩) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق ٣٦٢/٤، ح٢٠٠٢، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٠) أخرجه أبو داود في سننه، باب: الصفوف بين السواري ١٨٠/١ ح٦٧٢ عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، وإسناده حسن، والبيهقي في السنن الكبر، جماع أبواب موقف الإمام والمأموم، باب: إقامة الصفوف وتسويتها ١٠١/٣

وفي رواية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: خيركم ألينكم مناكب في الصلاة[٧١].

وفي رواية عن البراء بن عازب – رضي الله عنه، أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: سَوُّوا صفوفكم لا تختلف قلوبكم[٧٢].

في هذا الحديث الشريف دعوة إلى الإسراع بتسوية الصفوف في الصلاة فالمراد بألينكم مناكب أي أسرعكم انقياداً لمن يأخذ بمناكبكم الخارجة عن الصف يقدمها أو يؤخرها حتى يستوي الصف، ومن فعل ذلك كان من خيار عباد الله فإذا كان في الصف، وأمره أحد بالاستواء، أو بوضع يده على منكبيه، فلينقاد ولا يتكبر.

قال الخطابي" :معنى لين المنكب لزوم السكينة في الصلاة، والطمأنينة فيها فلا يلتفت[٧٣]".

"فالمراد بالخيرية أسرعكم انقياداً وقيل أكثركم سكينة، ووقاراً، وقيل لا يمتنع أحدكم لضيق المكان على من يريد الدخول بين الصف لسد الخلل"[٧٤].

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا قام إلى الصلاة يأمر من خلفه بتسوية الصفوف، والاعتدال فيها، فعن أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «أقيموا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري».

ح٤٩٦٩ عن ابن عباس، وقال أخرجه أيضاً زيد بن أسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قلت المرسل أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب: الصلاة، باب: فضل مامن الصفوف ٥٨/٢ ح٢٤٨٠ عن معمر عن زيد بن أسلم.

(٧١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: صفة الصلاة ذكر البيان بأن من كان في صلاته أسكن، ٥٢/٥، ح١٧٥٦، وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق جعفر ابن يحيى، وعمه عمارة بن ثوبان: لم يوثقهما غير المؤلف، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. قلت جعفر بن يحيى قال علي بن المديني: شيخ مجهول. ينظر: تهذيب الكمال ج١١٦/٥، ت ٩٦٠، وعمارة بن ثوبان قال الذهبي وثق وفيه جهالة ينظر الميزان ج ١٧٣/٣ ت٦٠١٧ فالحديث ضعيف يرتقي إلى الحسن لغيره بما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس.

(٧٢) الدارمي في سننه، كتاب: الصلاة، باب: فضل من يصل الصف في الصلاة ٣٢٣/١، ح١٢٦٤ والحديث صحيح

(٧٣) معالم السنن ١٨٤/١

(٧٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨٥٣/٣

وفي رواية: (سَوُّوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة) (٧٥).

وفي رواية لأبي داوود عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه –، قال: "أقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الناس بوجهه، فقال: «أقيموا صفوفكم» ثلاثاً، «والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم».. قال: فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه"(٧٦).

بيان ما يؤخذ من الحديث

١– أنَّ تسوية الصف تكون بمحاذاة الكعبين لا بمساواة الأقدام برؤوس الأصابع.

٢ – مراعاة المحاذاة بين المناكب والأعناق، والصدور، وأنْ يكون المصلي ليناً في حركته.

المطلب الثالث: خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى

عن أسماء بنت يزيد – أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" ألا أخبركم بخياركم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال: الذين إذا رُؤُوا ذكر الله تعالى . ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ(٧٧) "(٧٨).

يشير الحديث الشريف إلى أنَّ من صفات أولياء الله تعالى أنهم يتميزون عن غيرهم بصفات جليلة كالسمت الحسن والخشوع الظاهر وغيرها، فعند رؤيتهم يتأثر المشاهد برؤيتهم التي تذكره بذكر الله تعالى وعظمته والاستقامة على شرعه. فالصالحون عندما يجلس الإنسان معهم تتأدب بآدابهم، وإنَّ شيخك من حدثك بلحظه قبل أنْ يحدث بلفظه، ومن لم ينتفع بسمت العالم لا ينتفع بعلمه.

---

(٧٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام ٣٢٤/١، ح٤٣٣.

(٧٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة باب تفريع أبواب الصفوف، باب: تسوية الصفوف ١٧٨/١ح٦٦٢، وإسناده حسن فيه الحسين بن الحارث يكني أبا القاسم الجدلي صدوق التقريب ١٦٦/١ ح ١٣١٣.

(٧٧) الباغون للبراء العنت: الطالبون العيوب القبيحة للشرفاء المنزهين عن الفواحش، نضرة النعيم ٩/٤٢٢٤.

(٧٨) أخرجه عبد بن حميد في مسنده ٤١٦ /٢، ح ١٥٧٨، وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/٥٣٠ أخرجه عبد بن حميد عن ابن عباس بإسناد صحيح وهو كما قال فالحديث صحيح.

كما أنَّ خير الجلساء من تذكر رؤيته بالله لكونه حسن النية مخلص الطوية عاملاً بعلمه قاصداً بالتعليم وجه ربه، مذكراً للآخرة بعمله الصالح، فإن الرجل إذا نظر إلى رجلين من أهل الله تعالى تذكر الآخرة وعمل لما بعد الموت (٧٩).

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب كلامهم دواء من أدوية القلوب.

٢- ذكر الله تعالى عند رؤية الصالحين لحسن سمتهم، وإخباتهم.

المطلب الرابع: خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم: "من أكرم الناس؟ قال: أكرمهم أتقاهم، قالوا :يا نبي ليس عن هذا نسألك، قال :فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله ابن نبي الله بن خليل الله، قالوا :ليس عن هذا نسألك، قال :فعن معادن العرب تسألونني قالوا :نعم قال :فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا"(٨٠).

وفي رواية أخرى عنه –رضي الله عنه – قال :قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: –"تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"(٨١)

يشير الحديث الشريف إلى أنَّ الإنسان دائماً مرتبط بأصله فإذا كان أصله طيباً، فإنه يكون كذلك بعد دخوله في دين الله – عزَّ وجل – يكون على هذه الصورة، فيزداد خيراً على ما كان في نفسه من الخير، وقد أجاب النبي – صلى الله عليه وسلم – السائل بجوابين:

الأول: من جهة الشرف بالأعمال الصالحة، والثاني :من جهة الشرف بالنسب الصالح

---

(٧٩) فيض القدير ٤٨٥/٣

(٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: أم كنتم شهداء إن حضر يعقوب الموت ١٢٣٥/٣، ح٣١٩٤.

(٨١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة –رضوان الله عليهم –، باب: خيار الناس ١٩٥٨/٤، ح٢٥٢٦.

كما يدل الحديث على أنهم تزداد خيريتهم في الإسلام إذا تعلموا هذا الدين، وإذا تفقهوا، فلذلك الإنسان يشرف بهذا الدين العظيم، ويزداد خيراً بأن يتعلم الفقه في الدين وأنْ يعمل بما يتعلم. قال الحافظ ابن حجر: "إنَّ القسمة في هذا الحديث رباعية:

القسم الأول: إنَّ الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية، والشرف في الإسلام، وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع، ومنافرته خصوصاً بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك.

القسم الثاني: أنَّ الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعا، ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفاً في الجاهلية، واستمر مشروفاً في الإسلام فهذا أدنى المراتب.

القسم الثالث: من شرف في الإسلام، وفقه، ولم يكن شريفاً في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه.

القسم الرابع: من كان شريفاً في الجاهلية، ثم صار مشروفاً في الإسلام فهذا دون الذي قبله فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل" (٨٢).

بيان ما يؤخذ من الحديث

١ – إعلاء مرتبة الفقه وجلالته، وعظم قدر أهله، وعلوهم على من سواهم من المتخلفين عنه، وإنْ كانوا ذوي نسب يؤيده.

٢– فيه إشارة بمكانة نبي الله يوسف – عليه السلام – قال عنه النبي– صلى الله عليه وسلم – يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله تعالى.

المطلب الخامس: أُولئك خيارَكم

عن إِيَاسِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: " لقد طافَ بآل محمد الليلة سبعون امرأة؛ كلهن يشتكين الضربَ، وايم اللهِ لا تجدون أُولئك خيارَكم"(٨٣).

---

(٨٢) ينظر فتح الباري ٦٤١٤.

(٨٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الألف، إياس بن عبد الله بن أبي ذباب ١/ ٢٧٠، ح: ٧٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في ضربها، ٧/ ٤٩٦، ح: ١٤٧٧٥، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته ص: ٩٢٦٨، ح: ٩٢٦٨.

تواردت الأحاديث الصحيح بوجوب حسن العشرة بين الزوجين، والعيش بمودة ولطف واحترام، وفي حالة نشوز المرأة وإعراضها عن زوجها بغير مبرر فإنه يجب نصحها واستنفاذ جميع الوسائل الشرعية معها بما في ذلك الضرب التأديبي، ولكن هذه مجرد رخصة لمن أظهرت النشوز واستُنفذت معها وسائل مسبقة، فلما تجاوز الرجال في ذلك اشتكت النساء، فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ هؤلاء ليسوا بالخيار، وأنَّ "خيركم خيركم لأهله".

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- وجوب المحبة وحسن العشرة بين الزوجين.

٢- أنَّ الضرب شُرع للناشز بعد اليأس من صلاحها ويكون ضرب تأديب لا تعذيب.

٣- أنَّ الرجال الذين تجاوزوا في ذلك بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا بالخيار.

المطلب السادس: خياركم الموفون المطيبون

عن هشام بن عروة، عن أبيه: أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال: " أوليس أُولَاكُمْ خياركم عند الله، إنَّ خيار الخلق عند الله الْمُوفُونَ الْمُطَيِّبُونَ"(٨٤).

هذا الحديث يمدح من اتصف بصفتين ويصفهم بالخيار وهما:

الأولى: الوفاء بالعهد.

الثانية: الذين طيبوا أنفسهم بأطيب الصفات وأحلى السمات.

"المطيبون: بفتح المثناة التحتية وكسرها، أي: الذين طيب الله أوصافهم، أو الذين طيبوا أنفسهم"(٨٥).

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- من الصفات الخيرية الوفاء بالعهد والتجمل بالصفات الحسنة.

٢- وجوب الاعتناء بجمال الباطن قبل جمال الظاهر.

---

(٨٤) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، من مسند أبي سعيد الخدري، ٢/ ٣١٨، ح: ١٠٥٢، وقال الهيثمي: "أخرجه أبو يعلى، ورجاله ثقات". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ٢٣٥.

(٨٥) التنوير شرح الجامع الصغير ٣/ ٦١٤.

٣- إمكانية نيل مقام الخيرية بالتحلي بهذه الصفات.

المطلب السابع: خياركم من شراركم

عن أبي زهير بن معاذ رضي الله عنه قال: "توشكون أنْ تعلموا أهل الجنة من أهل النار، أو خياركم من شراركم، ولا أعلمه إلا قال: أهل الجنة من أهل النار، فقال رجل من المسلمين: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن، والثناء السيئ، أنتم شهداء بعضكم على بعض"[٨٦].

من الخصائص العظيمة للأمة المحمدية أنْ منحها الله الشهادة على الأمم الأخرى، وجعلهم شهداء بعضهم على بعض، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهذا الحديث يثبت شهادة هذه الأمة على بعض، يقول النووي: "ففيه قولان للعلماء أحدهما أنَّ هذا الثناء بالخير لمن أثنى عليه أهل الفضل فكان ثناؤهم مطابقاً لأفعاله فيكون من أهل الجنة فإن لم يكن كذلك فليس هو مراداً بالحديث، والثاني وهو الصحيح المختار أنه على عمومه وإطلاقه، وأنَّ كل مسلم مات فألهم الله تعالى الناس أو معظمهم الثناء عليه كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا، وإنْ لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة بل هو في خطر المشيئة، فإذا ألهم الله عزَّ وجل الناس الثناء عليه استدللنا بذلك على أنه سبحانه وتعالى قد شاء المغفرة له وبهذا تظهر فائدة الثناء"[٨٧].

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- أنَّ الشهادة على الأمم من خصائص هذه الأمة.

٢- أنَّ الشهادة تكون بين أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على بعضهم البعض.

٣- أنَّ الشهادة تكون بالثناء الحسن أو السيء.

---

(٨٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الميم، معاذ أبو زهير الثقفي، ٢٠/ ١٧٨، ح: ٣٨٢، وإسناده- جيد. انظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد، ٦/ ٣٩١.

(٨٧) شرح النووي على مسلم ٧/ ١٩.

المطلب الثامن: الصفات الخادشة للخيرية

عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: "إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل قبلكم، قيل: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفاحشة في شراركم، والفقه في أرذالكم"(٨٨).

يُظهر هذا الحديث الصفات التي تخدش الخيرية في المرء، ويُبيِّن أنها قد ظهرت في من كان قبلنا، وهذه الصفات هي:

الأولى: المداهنة من الأخيار للأشرار، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في الحديث: " إِذَا دَاهَنَ خِيَارُكُمْ فُجَّارَكُمْ، وَصَارَ الْفِقْهُ فِي شِرَارِكُمْ، وَصَارَ الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَلْبَسُكُمْ فِتْنَةٌ، تَكِرُّونَ وَيُكَرُّ عَلَيْكُمْ"(٨٩).

الثانية: ظهور الفاحشة في أراذل الناس وسفلتهم، وهذا ما حدث في عصرنا هذا حيث ظهرت الفاحشة وأعلنوا عنها، بل وتبجحوا بالمثلية والدونية.

الثالثة: ظهور المفتين الجهلة، وهذه أيضًا من علامات الساعة التي وقعت في زماننا هذا، حيث تعاني الأمة من المفتين الجهلة الأراذل الذين يضلون الناس بغير علم، وذلك بسبب موت العلماء الربانيين وغيابهم، فيتسلط الأراذل المنابر، ويعتلون مواقع الفتيا، كما في الحديث: «ليس عام إلا الذي بعده شر منه، ولا عام خير من عام، ولا أمة خير من أمة، ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم، ويحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الإسلام وينثلم»(٩٠).

---

(٨٨) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، ٢/ ٣٨٥، ح: ١٥٤٧، والمقدسي في الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ٧/ ٢٢٨، ح: ٢٦٦٨، وقال: "إسناده صحيح".

(٨٩) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الألف، من اسمه أحمد، ١/ ٥١، ح: ١٤٤، وقال الهيثمي "أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه أبو قتادة بن يعقوب بن عبد الله العذري ولم أعرفه، وبقية رجال الطبراني ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ٢٨٦.

(٩٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين، خطبة ابن مسعود، ومن كلامه، ٩/ ١٠٥، ح: ٨٥٥١، وهو حديث صحيح.

بيان ما يؤخذ من الحديث

١- أنَّ هذه الأمة يحدث فيها ما حدث في من كان قبلها من ذميم الصفات وسيئها.

٢- ظهور المنكرات وذهاب الخيرية إنما يكون بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

٣- تحذير الأمة من هذه الصفات الذميمة القبيحة.

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

أولاً: النتائج

بعد دراسة الأحاديث التي ورد فيها لفظ (خيركم) و (خياركم) تبيّن الآتي:

١- التخيير والتفضيل سنة من سنن الله تعالى في خلقه، حيث فضل الله عزَّ وجل بعض النبيين على بعض، وفضَّل بعض الناس على بعض، وسنة التفاضل بين الأشياء تدعو المسلم لئن يكون صاحب همة عالية، ونفس سامية، ترنو للمراتب العلية ولا ترضى بالمواضع الدنية، سواء في الأعمال أو الصفات أو الأخلاق أو العبادات، أو غيرها.

٢- تعدد هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الإخبار عن خير الأعمال، فربما كان قوله إجابة لسؤال، وربما كان بما بادرة منه بلا سؤال.

٣- بعض الأمور تفضيلها نسبي فهي فاضلة في وقت محدد، ومفضوله في وقت آخر، فلا بدَّ للمسلم أنْ يدرك هذا النوع من الفقه والفهم، لئلا يدخل في التعميمات الخاطئة.

٤- الأحاديث التي ورد فيها لفظ (خيركم) و (خياركم) وردت في حق أعمال صالحة، ورجال صالحين، وصفات حميدة وغيرها.

ثانياً: التوصيات

١- من خلال دراسة الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها لفظ خيركم وخياركم أوصي بدراسة مفردات الأحاديث النبوية ذات اللفظ الواحد أو المعنى الواحد وتناولها بدراسة موضوعية.

٢- دراسة هذه الأحاديث بدراسة أوفى وأشمل.

فهرس المصادر والمراجع

١- ابن أبي شيبة، عبد الله، المُصنف، الهند، الدار السلفية، دار القبلة.

٢- ابن الجوزي، عبد الرحمن، (١٩٩٧م)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، السعودية، دار الوطن.

٣- ابن القيم، محمد، مفتاح دار السعادة، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤- ابن حبان، محمد، (١٤١٤ / ١٩٩٣م)، الصحيح، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٥- ابن حجر، أحمد، (١٣٧٩هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة.

٦- ابن كثير، إسماعيل، (١٤١٦هـ)، فضائل القرآن، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية.

٧- ابن ماجة، محمد، السنن، بيروت، دار الفكر.

٨- ابن منظور، محمد، (١٤١٢هـ)، لسان العرب، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر.

٩- أبو داوود، سليمان، السنن، بيروت، دار الفكر.

١٠- الأزدي، معمر، (١٤٠٣هـ)، الجامع، الطبعة الثانية، بيروت، باكستان، المجلس العلمي، وتوزيع المكتب الإسلامي.

١١- الألباني، محمد، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته.

١٢- البخاري، محمد، (١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة.

١٣- البزار، أحمد، (١٤٠٩هـ). المسند المنشور باسم البحر الزخار، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.

١٤- بن حميد، عبد، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، المنتخب، الطبعة الثانية، دار بلنسية للنشر والتوزيع.

١٥- بن حنبل، أحمد، (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م)، المسند، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب.

١٦- بن موسى، محمد، (١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م)، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجة، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار المغني.

١٧- البيهقي، أحمد، (١٤١٤هـ /١٩٩٤م)، السنن الكبرى، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز.

١٨- الترمذي، محمد، (١٤٠٣هـ)، السنن، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر.

١٩- الخطابي، حمد، (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، معالم السنن، الطبعة الأولى، حلب، المطبعة العلمية.

٢٠- الدارمي، عبد الله، (١٤٠٧هـ)، السنن، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.

٢١- الذهبي، محمد، (١٤٠٥هـ)، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢٢- الذهبي، محمد، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، معرفة القرآء الكبار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

٢٣- الساعاتي، أحمد، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.

٢٤- الشافعي، عمر، (١٤١١هـ)، مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، الطبعة الأولى، الرياض – المملكة العربية السعودية، دار العَاصِمَة.

٢٥- الشنقيطي، محمد، (١٤١٥هـ /١٩٩٥م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٦- الشوكاني، محمد، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، نيل الأوطار، الطبعة الأولى، مصر، دار الحديث.

٢٧- الصنعاني، محمد، (١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م)، التنوير شرح الجامع الصغير، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة دار السلام.

٢٨- الصنعاني، محمد، سبل السلام، دار الحديث.

٢٩- الطبراني، سليمان، (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، مسند الشاميين، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٣٠- الطبراني، سليمان، المعجم الأوسط، القاهرة، دار الحرمين.

٣١- الطبراني، سليمان، المعجم الكبير، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.

٣٢- العتيبي، أسامة، قد توجد حالات يكون السكوت عن المنكر هو الحق المبين وذلك إذا ترتب عليه منكر أعظم، (مقال) https://m-noor.com/showthread.php?p=40688

٣٣- عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم، الطبعة الرابعة، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

٣٤- العراقي، ابن السبكي، الزبيدي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م)، الطبعة الأولى، الرياض، دار العاصمة للنش.

٣٥- العظيم آبادي، محمد، (١٤٢٦هـ)، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، دار ابن حزم.

٣٦- الفيروزآبادي، محمد، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٣٧- القاري، علي، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر.

٣٨- القرطبي، عبد الله، (٢٠٠٩م)، التذكار في أفضل الأذكار، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية.

٣٩- القشيري، مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٤٠- المباركفوري، محمد، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤١- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة.

٤٢- مخلوف، محمد، (١٤٢٤هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الطبعة الأولى، لبنان، دار الكتب العلمية.

٤٣- المزي، يوسف، (١٤٠٠ / ١٩٨٠م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٤٤- المصري، عمر، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، الطبعة الأولى، الرياض – السعودية، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

٤٥- المقدسي، محمد، (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م)، الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، الطبعة الثالثة، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٦- الموصلي، أحمد، (١٤٠٤ / ١٩٨٤م)، مسند أبي يعلى، الطبعة الأولى، دمشق، دار المأمون للتراث.

٤٧- النسائي، أحمد، (١٤٠٦ / ١٩٨٦م)، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، الطبعة الثانية، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية.

٤٨- النووي، يحيى، (١٣٨٢هـ/ ١٩٧٢م)، شرح صحيح مسلم، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٤٩- النووي، يحيى، (١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م)، رياض الصالحين، بيروت، دار بن كثير.

٥٠- الهيثمي، علي، (١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي.

The Authentic Hadiths in which the Word “Your Best” and “Your Choice” are Mentioned: Objective Study

Sultanh Saud Abdulaziz Al-Salamah

Assistant Professor, Department of Hadith and its Sciences, Princess Noura Bint Abdul Rahman University, Riyadh, KSA

Abstract. This study is about the authentic hadiths in which the word “your best” and “your choice” are mentioned, as an objective study. The Research Importance is collecting and listing all hadiths mentioned in this section, studying these hadiths objectively to know the characteristics of goodness and a statement of goodness, its characteristics and how to be obtained. The Methodology of study is inductive method and deductive analysis. The most important results of the research is: The hadiths, in which the words “your best” and “your choice” are mentioned, are mentioned regarding good deeds, righteous men, good attributes, and others, By studying the authentic hadiths in which the word “your best” and “your choice” the most important recommendations mentioned are, I recommend studying the vocabulary of Prophetic hadiths with one word or one meaning, to be tackled in an objective study.

Keywords: Hadiths, Authentic hadiths, Your best.